مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

الأسمائيّة في الأندلس: بين التّبعيّة المشرقيّة والخصوصيّة الأندلسيّة(*)

د/ بسّام البرقاوي
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة الشّرقيّة - سلطنة عمان
كلّية الآداب والفنون والإنسانيات منّوبة - تونس
bassem.bargaoui@asu.edu.om

د/ هادية مشيخي
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة الشّرقيّة - سلطنة عمان
hadya.mcheikhi@asu.edu.om

*) تاريخ تسليم البحث 8/10/2025 تاريخ قبوله للنشر 4/12/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الأسمائيّة في الأندلس: بين التّبعيّة المشرقيّة والخصوصيّة الأندلسيّة

د/ بسّام البرقاوي
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة الشّرقيّة - سلطنة عمان
كلّية الآداب والفنون والإنسانيات منّوبة - تونس

د/ هادية مشيخي
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة الشّرقيّة - سلطنة عمان

الملخّص

سعت هذه الدّراسة إلى النّظر في بعض تجليّات الأسمائيّة في الحضارة الأندلسيّة. وبحثا عن مظاهر التّقليد والتّجديد تتبّعتْ بعض أسماء المدن وألقاب الملوك والشعراء وعناوين الكتب التي أشرقت بمفردة الأندلس. وتوسّلت بمقاربة وصفيّة تحليليّة. فانتهت إلى جملة من النّتائج أبرزها أنّ "النّموذج" المشرقيّ في المعمار والسّياسة والأدب كان ماثلا بقوة في المؤلّفات الأندلسيةّ وإن تجلّى بصورتيه الإيجابيّة والسّلبيّة. ورغم سطوة هذا النّموذج فإنّه لم يمنع أن تكون الأسمائيّة قد أخذت من الخصوصيّة الأندلسيّة نصيبا لا يمكن أن يجده باحث منصف لتاريخ الأندلس الثّقافي والأدبي.

الكلمات المفتاحية: الأسمائيّة، الأدب الأندلسيّ، الأدب المشرقيّ، الشّخصيّة الأندلسيّة، كتب التّراجم.

Onomastics in al-Andalus: Between Eastern Conformity and Andalusi Particularity

Dr. Bassem Bargaoui
Department of Arabic Language
College of Arts and Humanities
A'Sharqiyah University- Sultanate of Oman

Dr. Hadya Mcheikhi
Department of Arabic Language College of Arts and Humanities -
A'Sharqiyah University- Sultanate of Oman

Abstract

This study sought to explore certain manifestations of onomastics within Andalusian civilization. In an effort to trace elements of imitation and innovation, the research examined the names of cities, the epithets of kings and poets, as well as the titles of selected works that prominently feature the term "Andalus." Employing a descriptive-analytical approach, the study arrived at several findings, most notably that the "Eastern" model in architecture, politics, and literature was strongly present in Andalusian writings, appearing in both positive and negative forms. Despite the dominance of this model, the study concludes that Andalusian onomastics nonetheless bore a distinct local character—one that any impartial scholar of Andalusia's cultural and literary history cannot overlook.

Keywords: Onomastics, Andalusian Literature, Eastern Literature, Andalusian Identity, Biographical Dictionaries.

مقدّمة:

قد لا يخفى على دارس لتاريخ الأندلس ما لثنائيّة المشرق والمغرب من محلّ رفيع. ففيها قال القدامى والمعاصرون وأطالوا حتّى ليذهب في الظنّ أنّهم لم يفرّطوا في الموضوع من شيء. غير أنّ تلطيف النّظر في بعض الزّوايا التي تتّصل بهذه القضيّة على وجه من الوجوه من شأنه أن يكشف أنّ إمكانيّة النّبش في بعض المسائل المنسيّة أو في بعض القضايا التي أشار إليها الباحثون ولم يقفوا عليها طويلا أمر غير عزيز المنال. فقد بدا لنا ونحن نُدرّس مساق الأدب الأندلسيّ في جامعة الشّرقيّة بسلطنة عمان "ميل أهل الأندلس والمغرب قديما إلى مطاولة المشارقة في ميادين الحضارة والفنون والأدب، حتى يقارعوهم فردا بفرد، وعلما بعلم. كلما افتخر المشرق بشاعر أو أديب، أو اعتزّ بملك مظفّر أو أمير أو تباهى بمغنى زاهر أو قصر منيف" (اليعلاوي، ١٩٨٥، ٥). لذلك عقدنا العزم على تدبّر "الأسمائيّة الأندلسيّة" ممثّلة في الأسماء والألقاب وما تجري إليه من تنازع بين أصول مشرقيّة وخصوصيّة أندلسيّة.

الدّراسات السّابقة:

يبدو أنّ الأسماء ولا سيما السّلطانية منها والأدبيّة والعلميّة التي شاعت في بعض المؤلّفات الأندلسيّة وذاعت قد لفتت انتباه الدّراسين والنّقاد. فأشار إليها بعضهم عرضا. وتوقّف عندها البعض الآخر وقفة المتدبّر المتأمّل. ونذكر من نماذج الصّنف الأوّل قول بعضهم "إنّ الأندلسيّين قد استعاروا أسماء حواضر الشّرق، فأطلقوها على حواضر معروفة في الأندلس والمغرب، فشبّهوا إشبيليّة بحمص، وغرناطة بدمشق، وفاس ببغداد، إلى غير ذلك، وأحدثوا بلدة سمّيت البصرة تشبيها لها بالعراق" (البيومي، ٢٠٠٧٨، ٣٥). ونذكر من نماذج الصّنف الثّاني ثلاث دراسات.

أمّا الدّراسة الأولى فهي لصالح الفيتوري عمر امهلهل، عنوانها "الألقاب العلميّة لأعلام الأندلس في ضوء كتب التّراجم الأندلسيّة والمشرقيّة (ما بين القرنين الرّابع والسّابع الهجريين) التي سعى فيها إلى "التّعريف بالألقاب العلميّة لأعلام الأندلس من خلال كتب التّراجم". (امهلهل، ٢٠٢٤، ١٠). وأمّا الدّراسة الثّانية فهي لهشام المتوكّل، عنوانها "الألقاب السّلطانيّة دلالتها ووظائفها بالأندلس خلال العصر الوسيط ما بين القرن الثّاني والخامس الهجري/الثّامن والحادي عشر ميلادي" (المتوكّل، ٢٠٢٠، ٣٥٨). وقد خلص فيها إلى جملة من النتّائج المهمّة التي سنذكر بعضها في ثنايا العمل. وأمّا الدّراسة الثالثة فعنوانها "ألقاب الشّعراء القدامى وأثرها في الأدب العربي: دراسة نقديّة" وفيها خصّص عبد الحميد محمد شعيب فقرة وجيزة سماها " ألقاب الشّعراء وأثرها في الأندلس". وممّا جاء فيها قوله "جدير بالذّكر الإشارة إلى ظاهرة تحوّل ألقاب كبار شعراء المشارقة إلى ألقاب فنيّة مع مرور الزّمن وخصوصا في الأندلس (...) ومن

ألقاب شعراء الجاهليّة المستخدمة في الأندلس: عنترة الأندلس لقب أبي الأجرب جعونة الكلابي وخنساء الأندلس لقب حمدة بنت زياد المؤدّب (...)بيد أنّ ألقاب الشّعراء العبّاسيين هي الأشهر والأظهر والأكثر ذيوعا" (شعيب، ٢٠٢١، ص٢٧٦١).

أهداف البحث ومنهجه وخطّته:

نسعى من خلال هذه الدّراسة إلى الوقوف على ظاهرة الأسماء في الأندلس وتدبرّ مرجعياتها ودلالاتها ووظائفها. ونهتمّ خاصّة بأسماء المدن التي سُمّيت بأسماء مشرقيّة وبالألقاب التي خلعوها على الحكام والأمراء وعلى الشّعراء والأدباء من جهة وباسم الأندلس وبعض مدنها من جهة أخرى. وعلى هدي هذه الأهداف استرفدنا بالمقاربة الوصفيّة التحليلية. وجعلنا عملنا مبحثين رئيسيين. بحثنا في القسم الأول مظاهر الاتّباع في الثّقافة الأندلسّية عموما وفي الأدب خصوصا من خلال ظاهرة ألقاب المدن والملوك والشّعراء. وصرفنا الجهد في القسم الثّاني لرصد أثر الأسمائيّة من خلال عنونة بعض الكتب وما تبرزه من خصوصيّة في استدعاء اسم الأندلس أو مدينة من مدنها استدعاء يجليّ ما اصطلح عليه بعض الدّارسين بـ "الشّخصيّة الأندلسيّة".

في ضبط المصطلحات:

تتنزّل دراستنا في مبحث "الأسمائيّة". وهو حقل تتنازعه علوم عديدة (اللّسانيات، التّاريخ، الأدب، علم الدّلالة، علم الاجتماع...). ويهمّنا أساسا من هذا المبحث صلته بالأدب في مفهومة الواسع. ذلك أنّ دراستنا تتجاوز مجال الأدب لتنظر في الثّقافة الأندلسيّة عموما. والأسمائيّة الأدبيّة في إحدى تعريفاتها "دراسة الاسم العلم درسًا لغويّا في ثباته وتحوله والنّظر في أحكامه الصّرفية وفي ما يلحق به من متغيّرات سياقية، تكسبه شحنات دلاليّة كان خاليا منها خارج النّصّ. ومن المهام الأخرى المنوطة بعهدة الأسمائيّة والمحمولة على أن تجود النّظر فيها الفحص عن الدّواعي التي حدت بالمبدعين والأدباء إلى اصطفاء أسماء أعلام مكان وأعلام أشخاص بعينها، وإدراجها في المنظومة الإبداعية والنّسوج الشّعريّة والسّرديّة، والنّزوع إلى تعليل ذلك الاختيار وتسويغه". (الشريطي، ٢٠٢١(https://tanwair.com/archives/11078) تاريخ الزيارة ١٠-٠٦- ٢٠٢٥) ونهتمّ في هذه الدّراسة أساسا بصنفين من الأسماء: أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن و"يرى جان دي بوا وجماعته أنّ الأسمائيّة تنكّب على دراسته أسماء الأعلام قاطبة ولذلك فمدارها درس أعلام الأشخاص L'anthroponymie وكذا أعلام الأماكن La toponymie وهما القطبان اللّذان تجري- حولهما- الدّراسات والمقاربات الأسمائيّة" (المرجع نفسه).

المبحث الأوّل: الأسماء والألقاب ذات المرجعيّة المشرقيّة

يبدو لمن ينعم النّظر في تاريخ الأندلس أنّه قد جاء حين من الدّهر على الأندلسيّين قدّسوا فيه ثقافة المشرق وأدبها تقديسا. وعلامات الاقتداء كثيرة وآيات الاتّباع عديدة. ويهمّنا منها في هذا المقام ظاهرة الأسماء والألقاب التي تطلق على المدن أو تخلع على الملوك والشّعراء. وننظر إلى هذه المسألة من ثلاثة زوايا: زاوية العمران وزاوية السّياسة وزاوية الأدب.

١-أسماء المدن

إذا قلّبنا النظر في الزّاوية الأولى وجدنا الأندلسيّين قد أطلقوا بعض أسماء المدن والأحياء المشرقيّة على مدن وأحياء أندلسيّة. من ذلك أنهم قد سمّوا غرناطة (دمشق) (فرحات، ١٩٩٣)" حكى ابن سعيد: أنّ غرناطة تسمّى دمشق الأندلس؛ لسكنى أهل دمشق بها عند دخولهم الأندلس، وقد شبّهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والأشجار، وقد أطلّ عليها جبل الثّلج (Sierra-Nevada) كما أطلّ جبل الثّلج أو جبل الشّيخ أو جبل حرمون على دمشق. وفي ذلك يقول ابن جبير: {من مجزوء الرّمل}

يا دمشقَ الغرب هاتيك لقد زدتِ عليها

تحتك الأنهارُ تجري وهي تنصب إليها (كرد على، ٢٠١٤، ٨٥)

وسموا إشبيليّة (حِمْص). "يسمّون مدينة إشبيليّة حمص، وذلك أنّ بني أمية لما حصلوا بالأندلس وملكوها سمّوا عدة مدن بها بأسماء مدن الشّام، وقال ابن بسّام: دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس. فسكنوا إشبيليّة فسمّيت بهم، وقال محمد بن عبدون يذكرها {من الكامل}

هل تذكرُ العــهدَ الذي لم أنسه ومــودّةً مخــدومــةً بصـفاءِ

ومبيتنا في أرضِ حمص، والحجى قد حلّ عقد حباه بالصّهباءِ

ودموعَ طلّ اللّيل تخلق أعينًا ترنو إلينا من عيون الماء (الحموي، ١٩٩٥، ٣٠٤)

وهم إلى ذلك سمّوا أسماء الأحياء الأندلسيّة بأسماء مشرقيّة على نحو ما يتجلّى في قصيدة شهيرة قالها عبد الرّحمن الدّاخل (ت ١٧٢هـ) (مؤسّس الدّولة الأمويّة في الأندلس بعد فراره من الشّام إلى الأندلس يُلقّب بصقر قريش ويعرف في بعض المصادر بعبد الرّحمان الأوّل) حين رأى نخلة منفردة – معبرًا عن شوقه وحنينه إلى المشرق بعد أن بعدت به الدّيار وشقّ به المزار: {من الطّويل}

تبدَّتْ لنـا وسْـطَ الرُّصافةِ نخلةٌ تناءتْ بأرضِ الغرب عن بلد النّخلِ

فقلتُ شبيــهي في التّغرُّب والنّوى وطولِ التَّنائي عن بَنِيَّ وعن أهـلي

نشأتِ بأرض أنـتِ فيـها غريبةٌ فمثلُكِ في الإقصـاءِ والمنْتأى مثلي (عباس، ١٩٦٠، ٧٧)

"فرُصَافَةُ قُرْطُبَةَ" هي مدينة أنشأها عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو أوّل من ملك الأندلس من الأمويّة بعد زوال ملكهم، أنشأها وسماها الرّصافة تشبيها (الحموي، ١٩٩٥، ٤٨). وقد علّق أحمد هيكل على هذه القصيدة من زاوية التّجديد والتقليد فقال "فعبد الرّحمان في هذه الأبيات يتناول موضوعا تقليديّا، وهو الوصف، ولكنّه يلحّ على الجانب العاطفيّ، فيبرزه بحيث يكاد يخفي كلّ ما سواه من جوانب. فهو لم يصف النّخلة لا في طولها ولا في لونها ولا في ثمرها، ولم يتخيّلها ماردا ذا شعر طويل ولا شيخا ذا قوام هزيل. وإنّما ترك ذلك كلّه ليصف النّخلة بأوصاف عاطفيّة ويصوّرها بصورة نفسيّة" (هيكل، ١٩٨٥، ٨٩). وشيّد بنو أميّة قصرا منيفا سمّوه "قصر الدّمشق" (المقري، ١٩٦٨، ج١، ص ٤٧٠). وقد قال فيه الشّاعر محمد بن عمار الأندلسي(ت ٤٧٧ هـ): {من الخفيف}

كلّ قصر بعد الدّمشق يذمّ فيه طابَ الجنى وفاح المشمُّ
منــظرٌ رائــقٌ ومــاءٌ نمير وترى عاطرٌ وقصــر أشمُّ
بتّ فيه واللّيل والفجر عندي عنبر أشهبُ ومسك أحمُّ (خالص، ١٩٥٧، ٢٥٥)

وكانت صورة بغداد حاضرة في الأذهان في وصف مدينة قرطبة "وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، ويقال: إنها كأحد جانبي بغداد وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها" (الحموي، ١٩٩٥، ج.٤، ٣٢٤).

تؤكّد الشّواهد السّابقة أنّ الأندلسيّين وغير الأندلسيّين، حين أقبلوا على وصف المدن الأندلسيّة وراموا بلوغ الغاية والنّهاية في الوصف لم يجدوا سوى العمارة المشرقيّة ولا سيما الشّامية والبغداديّة نموذجا يقارنون فيه بين السّابق واللاّحق. فكانت ثنائيّة المدينة الأندلسيّة والمدينة المشرقيّة تختزل في اسم مدينة مشرقيّة وسيلة للإيحاء بأسمى دلالات الجمال والرّوعة في العمارة الأندلسيّة.

ألقاب الملوك:

إذا تركنا مجال العمران إلى عالم السّياسة نتعقّب الألقاب السّلطانيّة التي خلعت على حكام الأندلس استوقفنا عصر الطّوائف لفرط ما احتفي فيه بهذه الظاهرة. وإذا سلّمنا بأنّ "تكريم المخاطب وبيان مرتبته بأن لا يواجه باسمه، بل بكنيته. وإذا نال من الرّياسة نهاية المقصود لم يخاطب إلاّ باللّقب المحمود. فالاسم موضوع للتّعريف، واللّقب الجميل مذكور للتّشريف" (ابن الجوزي، ١٩٩٣، ص.٥٥).

ولعلّ لا أحد لخّص هذه الظّاهرة وأجمل الكلام عليها مثل المراكشي في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب". ففي قسم سمّاه "فصل يتضمّن ذكر أحوال الأندلس بعد انقطاع الدّعوة الأمويّة عنها على الإجمال لا على التّفصيل" كتب يقول "وأمّا حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بنى أميّة، فإنّ أهلها تفرّقوا فرقًا، وتغلب في كلّ جهة منها متغلّب، وضبط كل متغلّب منهم ما تغلّب عليه، وتقسّموا ألقاب

الخلافة؛ فمنهم من تسمّى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بـ المأمون، وآخر تسمّى بـ المستعين، والمقتدر، والمعتصم، والمعتمد، والموفّق، والمتوكّل؛ إلى غير ذلك من الألقاب الخلافيّة؛ وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رشيق: {من البسيط}

ممّا يزهدني في أرض أندلسٍ سماع مُقتدرٍ فيها ومعتضِدِ

ألقاب مملكة في غير موضعِهَا كالهرّ يحكي انتفاخًا صَوْلَةَ الأسدِ (المراكشي، ٢٠٠٦، ٩٥).

تسمّى ملوك الطّوائف بأسماء مشهورة في تاريخ المشرق السّياسي. و"يقتبس العلم من أسماء تاريخيّة فيذكّر بشخصيات وأحقاب وأحداث هامّة يبعث ذكرها في مستعملها لذّة وتقديرا أو خشوعا" (دحماني، ٢٠١٩، ١١٩). فالمأمون العبّاسي "كان من رجال بني العبّاس حزما وعزما ورأيا وعقلا وهيبة وحلما، ومحاسنه كثيرة في الجملة" (الذهبي، ١٩٨٥، ج١٠، ٢٧٣). وكان المعتصم "ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة". (المصدر نفسه، ج.١٠، ٢٩١) و"كتب طاغية الرّوم إلى المعتصم يتهدّده، فأمر بجوابه، فلمّا عرض عليه رماه، وقال للكاتب: اكتب: "أما بعد، فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكّفار لمن عقبى الدار" (المصدر نفسه، ج.١٠، ٢٩١) وكان المقتدر "جيّد العقل، صحيح الرأي". (المصدر نفسه، ج ١٥، ص.٤٣) "ولأنّها شخصيات مشهورة، تكفي الإشارة إليها بالاسم دون اللّقب أو باللّقب وحده، فيتّفق المتكلّم والمخاطب على ما تحيله عليه من معان" (دحماني، ٢٠١٩، ٦٢).

وإذا حاولنا البحث عن الأسباب التي جعلت ملوك الطّوائف يكثرون من استرفاد الأسماء السّلطانيّة وجدناها لا تخرج في العموم عن قضيّة التّنافس بينهم لما تنازعوا فذهبت ريحهم. وليس من عجب في الحقيقة أن تشيع هذه الظّاهرة في هذا العصر الذي كثر فيه التّنافس والتّحاسد والتّباغض والجري وراء الشّهرة. وهذا التّفسير أو التّبرير أشار إليه أكثر من دارس. يقول هشام المتوكّل "إنّ قضيّة تهافت ملوك الطّوائف، على اتّخاذ الألقاب السّلطانيّة وتنافسهم في حصدها مجاليا، يُفسّر بحيويّة هذا الجانب في المشهد السّياسي الطّائفي. إذ لا يمكن أن تكتمل هياكل الدّولة الطّائفيّة، إلاّ بلقب أو ألقاب لملوكها، والتي تعتبر مقوّما أساسيّا من مقوّمات استقلالها، وكيانا من كيانات شخصياتها الذّاتيّة والمعنويّة". (المتوكل، ص ٣٦٨).

ويبدو أنّ بعض الألقاب لم تستدعها الحاجة السّياسية التّاريخية فحسب، بل أملتها الضّرورة الدّينية أيضا حتى ليمكن القول "إنّ العلاقة الرّابطة، بين المشروعيّة والألقاب، تتمثّل في الحمولة الرّوحية، التي يختزلها اللّقب، والإيحاءات التي يشير إليها" (المتوكل، الهامش ٨٤). فقد كتب هشام بن الحكم رسالة إلى الحاجب عبد الملك حين سمّاه "المظفّر بالله" وممّا جاء فيها "فنسأل الله تعالى سؤال إلحاف وضراعة، وابتهال إليه، أن يعرّفنا وإيّاك بركة هذا الاسم، ويحيلك معناه، ويعطينا وكافّة المسلمين، فضل ما حملت منه" (المراكشي، ١٩٨٣، ج.٣، ١٦- ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ٨٨).

هذه على الإجمال بعض الألقاب التي تلقّب بها ملوك الطّوائف. وهي في أغلبها ذات مرجعية مشرقيّة. غير أنّ هذه الألقاب على كثرتها لم تعظّمهم ولم ترتق بهم درجات. بل قلّلت من شأنهم ونزلت بهم إلى الدّرك الأسفل. فـ"برصد شخصيّات بعض من تسمّوا بهذه الألقاب، نجد أنهم أمراء محدودي النّفوذ. أسماهم ابن عذاري بـ "الأمراء الأصاغر" مثل جبر الدّولة، عبد الملك بن هذيل بن رزين، سعد الدّولة، حسن بن مجاهد العامري، سيف الدّولة، بلقين بن باديس، عزّ الدّولة، محمد بن نوح الدّمري". (المتوكّل، ص ٣٦٨) لا عجب عندئذ إن جعلتهم هذه الألقاب موضع هزء. فقد مثّلهم ابن رشيق في البيتين الشّعريين السّابقين بالقطط التي تتشبّه بالأسود. وسخر منهم ألفونسو السّادس ملك قشتالة في مكتوب لرسول المعتمد بن عبّاد "كيف أترك قوما مجانين، تسمى كل واحد منهم، باسم خلفائهم وملوكهم" وكلّ واحد منهم لا يسلّ في الذّبّ عن نفسه سيفا، ولا يرفع عن رعيته ضيما ولا حيفا". (مجهول، ٢٠٠٧، ص.٦٨).

٢-ألقاب الشّعراء

شاعت في كتب التّراجم الأدبيّة ظاهرة الألقاب التي تجعل الشّاعر الأندلسي سميّا للشّاعر المشرقيّ. فهم قد لقّبوا الشّاعر أبا أجرب الكلابي (توفّي أعقاب عصر الولاة في الأندلس) بعنترة الأندلس. ولقّبوا مروان بن عبد الرّحمن (ت ٤٠٠ هـ) بابن معتز الأندلس، وابن درّاج القسطلي (ت ٤٢١ هـ) بمتنبّي الأندلس، وابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ببحتري الأندلس، وابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ)، بصنوبري الأندلس. وعرف أيضا بلقب "الجنّان" لفرط حبّه للطّبيعة يتغنى بجمالها، ولُقّب الأعمى المخزومي (ت بعد ٥٤٠هـ) ببشّار الأندلس وبابن الرّومي لكثرة هجائه. والرّصافي البلنسي (ت ٥٦٠هـ) بابن رومي الأندلس. وشُبّه يحيى بن سهل اليّكي (ت ٥٧٢هـ) بابن رومي الأندلس. ولقّبوا حمودنة بنت زياد (عاشت في القرن الخامس الهجري) بخنساء المغرب. وقد نجد الاسم المشرقي الواحد يطلق على أكثر من شاعر "لقد عاش أبو طالب عبد الجبّار في عصري ملوك الطّوائف والمرابطين، واشتهر بالشّعر، حتى عُرف –كما يقول ابن بسّام، بمتنبي الغرب، وهو وصف تنازعه معه الرّمادي، وابن هانئ، وابن دراج، فكل هؤلاء لدى مواطنيهم، يشبهون أبا الطّيب" (البيومي، ٢٠٠٧، ٩٤).

ولعلّه من المفيد أن نشير في هذا السّياق إلى أنّ ظاهرة الألقاب هذه قيلت غالبا في سياقات فخر رام قصد الإعلاء من شأن شعراء الأندلس. وتكاد هذه النزعة الفخريّة لا تغيب عن كتاب من كتب التّراجم الأندلسيّة وإن اختلفت حدّتها من مصدر إلى آخر. وحسبنا شاهدا ما جاء في بعض تراجم لسان الدّين بن الخطيب. قال في ترجمة أبي عبد الله النّميري "كان معرّي عصره ووارث علمه الّذي يعجز عن حصره" (ابن الخطيب، ١٩٨٠، ج٢، ٣٩٦). ونوّه بمنزلة أبي القاسم بن جزي لأنّه "رحل في علم التّفسير إلى كلّ طيّة وركض في أغراضه كلّ مطيّة حتى أنسى الزّمخشري وابن عطيّة" (المصدر نفسه، ج٢، ص.٣٦٣)

وامتدح أبا الوليد بن هاني فقال: "وإذا أجهد طبعه ووصف حيّه وربعه وكيّف طعن القطان وتغيّرت الأوطان قلت حجازيّا فصيحا أو تميميّا شقّ للبيان ريحا أو نجديّا شكا بثّا وتبريحا". (المصدر نفسه، ج٢، ص.٣٩٥).

وترجم لابن حيّان النّفزي فقال "سيف النّصرة، المدافع عن أهل البصرة، وإمام صناعة النّحو، المتقلّب في حجمها بين الإثبات والمحو، والغيم والصّحو، لو مرّ به أبو الأسود لقال: سلام، ثمّ أراه كيف ينقسم الكلام، أو مرّ بأبي بشر لقال يا بشر أي هذا غلام" (المصدر نفسه، ج.٢، ٨١.) وضخّم منزلة ابن جزي الكلبي النّحويّة في قوله "إنّ ذكر النّحو أزرى بحفّاظ بصرته وسلّ على كافّة الكوفيين نصرته") المصدر نفسه، ج.٢، ٩٦).، وامتدح ابن خاتمة الأنصاريّ منوّها بشهرته "اشتهر اشتهار البدر ليلة الصّحو وعمرو بن قنبر في صناعة النّحو" (المصدر نفسه، ج.٢، ٢٣٩). وأعجب بالشّاعر ابن قطبة الدّوسيّ، فقال "الصّبي الشّاعر أتى الشّعر صبيّا واستمطر منه حبيّا وفي كعبته رجبيّا وإن أصبح من كلّ ما سواه أجنبيّا كأنّما ارتضعه من ثدي الخنساء والأخيلة ذات الكساء وأمثالها من شعراء النّساء".(المصدر نفسه، ج.٢، ٢٩٦.).

وامتدحت بعض كتب التّراجم الشّاعر أبا الأجرب الكلابي وعدّوه من طبقة جرير والفرزدق. ورد في "نفح الطّيب "للمقري" ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشّعر لذم نباه به إلاّ جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما، ولو أنصف لاستشهد بشعره. فهو جار على مذهب الأوائل لا طريقة المحدثين (...) ولو لم يكن لنا من فحول الشّعراء إلّا أحمد بن درّاج القسطلي لما تأخر عن شأو بشّار بن برد وحبيب والمتنبّي" (المقري، ج. ٢، ٧٧٥)

تذكّر هذه الشّواهد، وغيرها كثير شائع – بما استقرّ في تاريخ النّقد الأندلسيّ منذ القرن الخامس الهجريّ من إشارات تقارن بين أعلام المشرق ونظرائهم في الأندلس. وقد ذهب بعض الدّارسين إلى تعليل هذه المقارنة بكونها علامة على الشّعور "بمركّب النّقص". بل إنّ محقّق مصنّف "المقتطف" ذهب إلى أنّ النّزعة الدّفاعيّة التي كادت تكون السّدى في كلّ مصنّف أندلسيّ إنّما هي تعبير عن "موقف من يحسّ بفضل حضارة أخرى عليه، ولكنّه يريد أن يثبت أنّه وإن كان مصدر حضارة من غيره، فإنّه قد تفوّق فيما أخذ وتميّز فيما أبدع، وأصبح بعد ذلك صاحب شخصيّة مستقلّة يمكن أن تطاول من كان السّبب في وجودها" (ابن سعيد الأندلسيّ، ١٩٨٣، ٣٦). وغير بعيد عن هذه الأفكار كتب محمد زكريا عنان يقول عن ظاهرة المباهاة التي وسمت التّرجمة لشعراء الأندلس "بل إنّ هذه المباهاة في حد ذاتها يمكن أن تفسّر على أنها ثمرة إحساس داخلي بالنقص" (عناني، ١٩٩٩، ٤٠).

المبحث الثاني: أثر الشّخصيّة الأندلسيّة في أسمائيّة المكان

بيّن تاريخ الأدب العربيّ أنه يصدر في بعض مواقفه الإبداعيّة والنقديّة عن رؤية "إقليميّة" تربط الإبداع بالبيئة أو تنافح عن أدب بيئة معيّنة وفي إطار هذا النّقد تبرز المفاضلة بين الآداب بصورة جليّة. وقد شكّل الأدب والنّقد الأندلسيين إطارا خصبا لظهور النّزعة الإقليميّة إلى حدّ يصعب فيه الكلام عن أدب الأندلس ونقدها دون ذكر لما اصطلح عليه بالدّفاع عن "الشّخصيّة الأندلسيّة" ولعلّ في قوّة هذا التّوجّه النّقديّ ما دفع النّاقد إحسان عباس إلى اعتباره العلّة الّتي أوجدت النّقد وحدّدت سماته "فمن طبيعة الوضع الأندلسيّ وطبيعة الشّعر الأندلسيّ نفسه اتّخذ النّقد الأدبيّ وجوده وسماته" (عباس، ١٩٨٣، ٤٧٣)، وقال موضّحا المقصود "بطبيعة الوضع الأندلسيّ" أمّا طبيعة الوضع الأندلسيّ فكانت تتمثّل في احتذاء المشرق، فلمّا تنبّهت الأندلس إلى شخصيّتها في المجال العمليّ والأدبيّ، كان النّقد الأدبيّ دفاعا عن هذه الشّخصيّة ضدّ الظلم أو التّجاهل أو الاتّهام بأنّ الأندلس ليس فيها أدباء وشعراء" (المصدر نفسه، ص٤٧٣.). ويهمّنا في هذا السّياق أن نستجلي مظاهر الدّفاع عن الشّخصيّة الأندلسيّة اعتمادا على اسم الأندلس الذي استقرّ عنوانا جامعا لعدد غير قليل من المؤلّفات جمعا يدلّ على نزعة تحرريّة رامت التّميّز والخروج عن سلطة المشرق.

١- الأندلس في عناوين المؤلّفات

الأندلس أو بلاد الأندلس تسمية أطلقها المسلون على البلاد التي تُسمّى اليوم "إسبانيا والبرتغال". والحقيقة أنّ الأسماء التي سُمّيت بها هذه البقعة من الأرض عديدة تدلّ على تاريخها الضّارب في القدم، وتشهد على مختلف الحضارات التي تعاقبت عليها. ويرجح أنّ أقدم تلك التّسميات "إيبريا"(Iberia) نسبة إلى الإبريين(Los Iberos). وهم أقدم الشّعوب التي عمّرت هذه البلاد. ثمّ أطلق عليها الرّومان تسمية "إسبانيا". (Hispania) أو (Ispania). ويبدو أنّهم قد استمدّوا هذا الاسم من العبارة الفينيقيّة (i-schephan- im) وتعني "شاطئ الأرانب". ويروى "أنّ الفينيقيّين قد صادفوا كثيرا من الأرانب على الشّاطئ الإبيري الذي نزلوا به" (هيكل، ١٣). ويهمّنا من هذه التّسميات جميعا اسم الأندلس لأنّه "كان مرتبطا بالدّولة الإسلاميّة وحدها مهما كان امتدادها: يتّسع باتّساعها ويضيق بانحسارها. ولم يذهب هذا الاسم بنهاية دولة الإسلام في الأندلس، فإنّه ما يزال مستعملا للمعنى القديم كلّما ذكرت الأندلس، أو ذكر علم من أعلامها، أو فنّ من فنونها، أو أثر من آثارها" (الدّاية، ٢٠٠٠، ١٧).

وإذا نظرنا إلى صدى هذا الاسم في الكتب الأندلسيّة وجدنا عددا غير قليل من المؤلّفات قد أشرقت بمفردة الأندلس إشراقا يدل في غير شكّ عن نزعة "قوميّة" أرادت أن تجعل من تلك المؤلّفات "ديوان الأندلس" الذي يقيّد مآثرهم ويسجّل آثار علمائهم وأدبائهم وشعرائهم. فقد ألف ابن الفرضي (ت

٤٠٣هـ) "تاريخ علماء الأندلس" (ابن الفرضي ١٩٨٩). وألّف ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) "نقط العروس في أخبار بني أميّة بالأندلس" وكتب الحميدي (ت ٤٨٨هـ) "جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" (الحميدي ٢٠٠٨). وألّف الفتح بن خاقان (٥٢٨هـ) "مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس" (الفتح بن خاقان، ١٩٨٠). وكتب ابن بسّام (٥٤٢هـ) "الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة" (ابن بسّام، ١٩٧٥) وصنّف ابن غالب الأندلسي (عاش في القرن السادس للهجرة) "فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، وصنّف بن عبد الرّحمن بن هذيل الأندلسي (عاش في القرن الثامن للهجرة) "تحفة الأنفس وشعار سكّان الأندلس" (ابن هذيل، ٢٠٠٤) وألف المقري (ت ١٠٤١هـ.) "نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" الذي يعدّ أضخم مرجع أرّخ للحضارة الأندلسيّة. ولم تقتصر عناوين الكتب على اسم الأندلس، بل تعدّتها إلى بعض المدن التي ذاع صيتها قديما. فلسان الدّين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) مثلا كتب "الإحاطة في أخبار غرناطة" و"مفاخرات مالقة وسلا"

لعل هذه العناوين تؤكّد ما أطلق عليه بعض الدّارسين "الشّخصيّة الأندلسيّة" (إظهار الخصوصيّة الأندلسيّة في علاقتها بالخصوصيّة المشرقيّة في سلوكها وأخلاقها وعلمها وأدبها) التي ظهرت في عناوين المؤلفات ومقدماتها. فقد كان الباعث على تأليف "رسالة في فضل أهل الأندلس" مثلا رد ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) على ابن الربيب القيرواني" "... وإني لما احتللت بك، وجالت يدي في مكنون كتبك، ومضمون دواوينك، لمحت عيني في تضاعيفها درجاً فتأملته، فإذا فيه خطاب لبعض الكتّاب من مصاقبينا في الدار، أهل إفريقية، ثم ممن ضمته حضرة قيروانهم، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه، ولا ذكر بنسبه، يذكر له فيها أن علماءَ بلدنا بالأندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف، فإن هِمَمَهم قد قَصَّرتْ عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم، ثم تعدَّى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم، ويبقي علمهم، بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه، وحقق ظنه في ذلك، واستدل على صحته عند نفسه، بأن شيئاً من هذه التآليف لو كان منّا موجوداً لكان إليهم منقولاً" (ابن حزم الأندلسي١٩٨٧، ج.٢، ص.١٧١.)

أطلق الشّاذلي بويحي على النّزعة التي تنتصر للأندلسيّين "النّزعة القوميّة الأندلسيّة" وتتبّع بدايتها وتطورها عند بعض الكتاب كابن عبد ربّه وابن فرج الجيّاني وابن شهيد. وكتب يقول عن ابن بسّام "كما أنّ النّزعة القوميّة تظهر من عنوان كتاب ابن بسّام الشّنتريني" الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة". وكذلك في مقدّمته التي ينازع فيها المؤلّف نظريّة تفوّق الشّرق على الأندلس" (بويحي، ١٩٩٣، ص ١٧). وغير بعيد عن هذه المعاني كتب إحسان عبّاس يقول: من الطّبيعي ألا تبقى الأندلس عالة على الكتاب المشرقي

والثّقافة المشرقيّة وإن هي لم تقطع صلتها بهما على مر الزّمن. فإنّها في الفترة الواقعة بين عبد الرّحمان الناصر وآخر الدولة العامرية وجدت ذاتها والتفتت لماضيها واهتمت بحاضرها وأدركها شيء يشبه الشعور القومي. ودفعها الحكم المستنصر في هذا السّبيل دفعة قويّة، فإذا المكتبة الأندلسيّة تزخر بالمؤلّفات عن الأندلس بأقلام أهلها" (عباس، ١٩٦٠، ٢٣٤).

والحقيقة أنّ هذه الخصوصيّة الأندلسيّة قد جاءت رد فعل على بعض المواقف التي استنقصت منزلة الأندلسيين سواء تلك التي صدرت عن غير الأندلسيين أو عن الأندلسيّين أنفسهم. وقد اشتهرت من مواقف المشارقة قولة الصّاحب بن عبّاد (٣٢٦-٣٨٥هـ) "هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا"، حين اطّلع على كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربّه (٨٦٠—٩٤٠هـ). واشتهرت من مواقف الأندلسيين مقّدمة كتاب "الذّخيرة" التي نازع فيها ابن بسّام الشّنتريني "نظريّة تفوّق الشّرق على الغرب فقال محتجّا على أبناء بلده "إلاّ أنّ أهل هذا الأفق أبوا إلاّ متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتّى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشّام أو العراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلو ذلك كتابا محكما" (ابن بسّامج ١، ص، ٢).

٢- أسمائية الأندلس ومدنها

نهتمّ في القسم الأخير من هذه الدّراسة بالأندلس ومدنها حين تذكر في سياق مقارنة أو مفاضلة فيستدعي الكلام ذكر مدن مشرقيّة أو أجنبيّة. يقول المقري مفضّلا الأندلس على بلدان المغرب والمشرق جميعا "محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشقّ غباره، وأنّى تجارى وهي الحائزة قصب السّبق، في أقطار الغرب والشّرق". (المقري، نفح الطيب، ج.١، ص.١٢٥).

وجاء في "نفح الطّيب "ما نصّه" الأندلس شاميةٌ في طيبها وهوائها، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في عطرها وذكائها، أهوازيةٌ في عظم جبايتها، صينيةٌ في جواهر معادنها، عدنيةٌ في منافع سواحلها". "وقيل لأحد من رأى مصر والشام أيّهما رأيت أحسن أهذان أم إشبيلية فقال بعد تفضيل إشبيلية شرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح" (المصدر نفسه، ج١، ١٤٣). والحقيقة أنّ الأندلسيين ذهبوا شأوا بعيدا في الاحتفاء بمدنهم إذ خصّوا بعضها بمصنّفات بأكملها مثل "الإحاطة في أخبار غرناطة "لابن الخطيب" الحلّة المذهّبة في مملكة قرطبة" لأبي سعيد.

ونختم هذا القسم بمقتطف من "رسالة أبي البحر في تغاير مدن الأندلس" "... ولما تخاصمت فيك من الأندلس الأمصار وطال بها الوقوف على حبّك والاقتصار كلّها يفصح قولا ويقول أنا أحقّ وأولى ويصيخ إلى إجابة دعوته ويصغي ويتلو إذا بشر بك (ذلك ما كنّا نبغ) تنمّرت **حمص** غيظا وكادت تفيض فيضا وقالت ما لهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويحرصون (إن يتبعون إلا الظّن وإن هم إلا يخرصون) لي

السهم الأسد والساعد الأشد والنهر الذي يتعاقب عليه الجزر والمد أنا مصر الأندلس والنيل نهري وسماء التأنس والنجوم زهري إن تجاريتم في ذلك الشرف فحسبي أن أفيض في ذكر الشرف ،فنظرتها **قرطبة** الأصم بزرا كلام العدى ضرب من الهذيان وأنى للإيضاح والبيان إن ادعيتم سبقا فما عند الله خير وأبقى لي البيت المطهر الشريف والاسم الذي ضرب عليه رواقه التعريف ، فقالت **غرناطة** لي المعقل الذي يمتنع ساكنه من النجوم ولا تجري إلا تحته جياد الغيم السجوم ، فما لكم تعتزون لفخري وتنتمون وتتأخرون في ميداني وتتقدمون تبرأوا إلي مما تزعمون (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) فقالت **مالقة** أتتركوني بينكم هملا ولم تعطوني في سيدنا أملا ولم ولي البحر العجاج والسبل الفجاج والجنات الأثيرة والفاكهة الكثيرة ، فقالت **مرسية** أمامي تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تنفقون الصخر إن عدت المفاخر فلي منها الأول والآخر أين أوشالكم من بحري وخرزكم من لؤلؤ نحري وجعجعتكم من نفثات سحري فلي الرّوض النضير والمرأى الذي ما له من نظير ،فقالت **بلنسية** فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع وإلام التّعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح أنا أحوزه من دونكم فأخمدوا ناري تحرككم" (المقري، نفح الطّيب، ١٩٦٨ج.١، ص١٧١- ١٧٥(الإبراز من عندنا).

لا تخلو رسالة أبي البحر صفوان بن إدريس (ت ٥٨٩ هـ) من أوجه طرافة عديدة تحتاج في نظرنا إلى دراسة مستقلّة تهتمّ أساسا بإنشائية الخطاب وبمظاهر التناص في النصّ الترسّلي. وحسبنا أن نشير في هذا المقام إلى أنّ صاحب الرسالة قد استنفر أشهر المدن الأندلسيّة وجعلها غيارى. كل واحدة تتباهى بمحاسنها في وصف لا يخلو من سجع غير مستثقل واقتباس غير متصنع، حتىّ لا نبالغ إذا قلنا إنّ الانتقال من ذكر مدينة إلى أخرى كان انتقالا سلسا لا إكراه فيه.

النّتائج:

- لعلنا لا نقول شططا إذا زعمنا أن حنين العرب الوافدين إلى الأندلس وتمسكهم بالثقافة المشرقية قد ترجم في ما ترجم من خلال ظاهرة الأسماء التي أطلقوها على بعض الملوك والشعراء أو على بعض المدن. غير أن ظاهرة الاقتداء والاسترفاد بالأسماء المشرقية لم تحل دون أوجه طرافة تمثلت خاصة في الاحتفاء بالأندلس ومدنها سواء من خلال العناوين التي سمّى بها الأدباء مؤلّفاتهم أو من خلال شعرية الوصف التي تجلت في آثار عديدة لعل ألطفها ما ورد في رسالة أبي البحر من ذكر للغيرة بين مدن الأندلس. فالأندلس هذا القطر النائي "استطاع أن تكون له خصوصيّة في أكثر من جانب من جوانب الفكر والفنّ والعلم والأدب، ووجوه الثّقافة المختلفة". (الدّاية، ٢٠٠٠، ١٠) وبعض أوجه هذه الخصوصية ما تزال في حاجة إلى دراسة.

- تردّدت الأسماء التي دارت عليها هذه الدّراسة بين الدّلالات الإيجابيّة والدّلالات السّلبيّة. فإذا كانت أسماء المكان قد اختزلت معاني الرّوعة والحسن في أبهى مظاهرها- "وأحسن ما كان اللّقب إذا كان صدقا واقعا عن حال" (ابن الجوزي، ٥٩)، فإنّ الألقاب التي خلعت على ملوك الطّوائف قد جعلتهم أضحوكة وسبّة لم تبلوها الأيّام ولم يخترمها الزّمان.

التّوصيات:

- نعتقد أنّ مبحث الأسمائيّة الذي نظرنا في أوجه من أوجهه يحتاج إلى مزيد نظر. والرّأي عندنا أنّ البحث في أثر بعض الحقول المعجميّة مثل الطّبيعة أو الذّهب في عنونة الكتب وفي تسمية الأبواب والفصول لا يخلو من فوائد. فهو يكشف بصورة أو بأخرى خصوصية أندلسية قلّما نجد لها أثرا في تاريخ الأدب العربي. ففي معجم الذهب الذي احتفى به ابن عبد ربه "في العقد الفريد" (ابن عبد ربّه، ١٩٨٣) والفتح بن خاقان "في قلائد العقيان" (ابن خاقان، ١٩٩٠)، وفي معجم الطّبيعة الذي شاع في عناوين من قبيل "البديع في وصف الربيع" و"الروض المعطار" الغصون اليانعة في شعراء المائة السّابعة ما يغري بدراسة الأسمائية في علاقتها ببعض المعاجم التي غلبت على الأندلسيّين حتى اشتهروا بها. "أزهار الرّياض في أخبار القاضي عيّاض لم يقتصر الاسترفاد بعالم الطّبيعة على العنوان. بل تجاوز ذلك إلى عنونة الأبواب. فكان التّنضيد على النحو الآتي: ١ . روضة الورد؛ في أوّلية هذا العالم الفرد.٢ . روضة الأقحوان؛ في ذكر حاله في المنشأ والعنفوان.٣ . روضة البهار؛ في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النّهار.٤ . روضة المنثور؛ في بعض ماله من منظوم ومنثور.٥ . روضة النّسرين؛ في تصانيفه العديمة النّظير والقرين.٦ . روضة الآس؛ في وفاته وما قابله به الدّهر الذي ليس لجرحه من آس.٧ . روضة الشّقيق؛ في جمل من فوائده ولمع من فرائده، المنظومة نظم الدّرّ والعقيق.٨ . روضة النّيلوفر؛ في ثناء النّاس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي أعطر من المسك الأذفر.وسميته "بأزهار الرياض في أخبار عياض، وما يناسبها ممّا يحصل به ارتياح وارتياض"؛ تسمية وافقت إن شاء الله معناه، وناسبت منزله ومغناه؛ فدونك أيها الناظر روضات أزهار، وجنات تجري من تحتها الأنهار أبوابها ثمانية سما إلى محاسنها من تعلّق من التاريخ بأهداب، لم أسبق إلى مثلها فيما رأيت والإنسان مغرم ببنيّات أفكاره، وإن قوبل ما صدر منه بإنكاره (المقري، ١٩٣٩).

- نعتقد أنّ دراسة قضايا الأدب الأندلسي على هدي قضيّة التّقليد والتّجديد يحتاج إلى رويّة حتّى لا يكون التّسرع في إصدار الأحكام التي تنتصر إليه أو تجعله مجرّد تابع للأدب المشرقي. فهذا الأدب ومن خلال تجليّات عديدة من بينها الأسمائية سار" في تطوّره على سنن تطوّره في المشرق في تأثّر بدأ كبيرا، ثم صار يضمحّل مع مرور الزّمن لتتكون للشّخصية الأندلسيّة سماتها الخاصّة، ولا أدلّ على ذلك من قول ابن خلدون: إنّ أهل الأندلس يتشبّهون بالمشارقة في عهد الأمويّين والعباسيين، وليس بعد ذلك (الهروط، ٢٠١٦، ٢٤٤).

خاتمة:

يبدو أنّ ارتباط النّقّاد الأندلسيّين بحضارة الشّرق وخروجهم عنها في الآن نفسه لا يفسّر بأسباب ذاتيّة فقط تنحصر في مجرّد إظهار ثقافة النّاقد الشّخصيّة مثلما ذهب إلى ذلك إحسان عبّاس، وإنّما ترتدّ – في اعتقادنا– إلى أسباب موضوعيّة أيضا تعكس تردّد الأندلسيّين بين طرائق مختلفة في إثبات الذّات فتارة يسلكون مسلك المقارنة لترجيح كفّة الأندلس وطورا يغضّون الطّرف عن آداب المشرق إبرازا لآداب الأندلس، وهم بين هذا وذاك يريدون إثبات منزلتهم الأدبيّة والحضاريّة. وخلاصة القول إنّ مؤلّفات ابن الخطيب قد لخصّت أهمّ المواقف الّتي تردّدت في تاريخ النّقد الأندلسيّ في معالجتها لمسألة "الشّخصيّة الأندلسيّة"، فعكس حيرة البحث عن المنهج الأقوم لإثبات الذّات بين نفي الآخر واستحضاره.

مراجع البحث:

ابن الأحمر، الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمّد (١٩٦٧). **ثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان ودراسة في حياته وأدبه**، دراسة وتحقيق محمد رضوان الدّاية، بيروت، دار الثقافة: بيروت، لبنان.

ابن بسّام الشنتريني، أبو الحسن علي: (١٩٧٥). **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عبّاس، الدّار العربيّة للكتاب: ليبيا، تونس.

بويحي، الشّاذلي (١٩٩٣). **ابن شهيد الأندلس: حياته وشعره ونثره ورسالة التّوابع والزّوابع**، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتّوزيع: تونس.

البيومي، محمد رجب (٢٠٠٧). **الأدب الأندلسيّ بين التّأثر والتأثير**، مكتبة الدار العربية للكتاب.

ابن الجوزي، جمال الدّين (١٩٩٣). **كشف النّقاب عن الأسماء والألقاب**، ط١، تحقيق عبد العزيز الصّاعدي، مكتبة دار السّلام: سوريا.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمّد (١٩٩٠). **قلائد العقيان**، ط١، تحقيق محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر: تونس.

ـــــــــــ (١٩٨٣). **مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس**، ط١، دراسة وتحقيق محمّد عليّ شوابكة، دار عمّار مؤسسة الرسالة: بيروت، لبنان.

خالص، صلاح (١٩٥٧). **محمد بن عمار الأندلسي: دراسة أدبيّة تأريخيّة**، مطبعة الهدى: بغداد، العراق.

ابن الخطيب، محمّد بن عبد الله (١٩٧٣). **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط٢، تحقيق محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي: القاهرة.

ـــــــــــــــــــــــــ (١٩٨٠). **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، ط١، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي: القاهرة.

ـــــــــــــــــــــــــ (٢٠٠٤). **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، ط١، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، مكتبة الثّقافة الدّينية: القاهرة.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (١٩٧٨). **رسائل ابن حزم الأندلسي**، ط٣، تحقيق إحسان عبّاس، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر.

الدّاية، محمد رضوان (٢٠٠٠). **في الأدب الأندلسي**، ط١، دار الفكر المعاصر- دار الفكر: بيروت – دمشق.

دحماني، زكيّة السائح (٢٠١٩). **الأسمائية في اللّسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق**، ط.١، الدار التونسية للكتاب: تونس.

الذّهبي، شمس الدّين (١٩٨٥). **سير أعلام النّبلاء**، ط.٣، تحقيق علي أبو زيد وأكرم البوشي، مؤسسة الرّسالة.

ابن سعيد الأندلسيّ، (**١٩٨٣**). **المقتطف من أزهار الطرف**، تحقيق سيّد حنفي حسنين، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

ابن سعيد الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (د.ت). **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السّابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف: مصر.

عباس، إحسان (١٩٦٠). **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة**، ط١، دار الثقافة: بيروت.

عبّاس إحسان (١٩٨٣). **تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب: نقد الشّعر من القرن الثّاني حتّى القرن الثّامن الهجريّ**" دار الثقافة: بيروت.

ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد (١٩٨٣). **العقد الفريد**، ط١، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة: بيروت.

ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (١٩٨٣). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط.٣، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثّقافة: بيروت.

عمران، محمود سعيد (١٩٨٥). **مملكة الوندال في شمال إفريقيا**، مصر، دار المعارف: مصر.

ابن الفرضي (١٩٨٩). **تاريخ علماء الأندلس**، ط.٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني،

عناني، محمد زكريا (١٩٩٩). **تاريخ الأدب الأندلسيّ**، دار المعرفة الجامعيّة: مصر.

فرحات، يوسف شكري (١٩٩٣). **غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضاريّة)**، ط.١، بيروت: دار الجيل: بيروت، لبنان.

كرد علي، محمد (٢٠١٤). **غابر الأندلس وحاضرها**، مؤسّسة هنداوي: المملكة المتّحدة.

المراكشي، عبد الواحد (٢٠٠٦). المعجب **في تلخيص أخبار المغرب**، ط١، تحقيق صلاح الدّين الهواري، بيروت، المكتبة العصريّة.

المقري، شهاب الدّين أحمد التلمساني (١٩٣٩). **أزهار الرّياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: القاهرة.

ـــــــــــــــــــ (١٩٦٨). **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر: بيروت، لبنان.

مؤلف مجهول (٢٠٠٧)، **تاريخ الأندلس**، تحقيق عبد القادر بوباية، بيروت، دار الكتب العلميّة: بيروت، لبنان.

ابن هذيل الأندلسي، عبد الرّحمن (٢٠٠٤). **تحفة الأنفس وشعار سكّان الأندلس**، ط١، تحقيق عبد الله أحمد نبهان، محمد فاتح صالح زعل، مركز زايد للتّراث والتّاريخ: الإمارات العربية المتحدة.

الهروط عبد الحليم حسين (٢٠١٦). **النّثر الفنّي عند لسان الدّين بن الخطيب**، دار جرير للنّشر والتوّزيع.

هيكل، أحمد (١٩٨٥). **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف: مصر.

اليعلاوي، محمد (١٩٨٥). **ابن هانئ المغربي الأندلسي شاعر الدّولة الفاطميّة**، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

ياقوت الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله (١٩٩٥). **معجم البلدان**، ط٢، دار صادر: بيروت.

الدّوريات

امهلهل، صالح الفيتوري عمر (٢٠٠٤). الألقاب العلميّة لأعلام الأندلس في ضوء كتب التّراجم الأندلسيّة والمشرقيّة (ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين). **المجلّة العلميّة لكليّة التّربية (جامعة سرت)**، م. ٣، ع.١، يناير، ص. ص.٢٠٨- ٢٣٢.

المتوكّل، هشام (٢٠٢٠)، الألقاب السّلطانيّة دلالتها ووظائفها بالأندلس خلال العصر الوسيط ما بين القرن الثّاني والخامس الهجري/الثّامن والحادي عشر ميلادي، **مجلّة التّراث**، م.١٠، ع.١، ص. ص، ٣٥٨ -٣٧٥.

شعيب، عبد الحميد محمد (٢٠٢١)، ألقاب الشّعراء القدامى وأثرها في الأدب العربي: دراسة نقديّة، **المجلة العلميّة (كليّة اللّغة العربيّة بأسيوط)**، ع.٤٠، ص. ص. ٢٧١٩- ٢٧٩٧